الباب الثالث عشر: في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول

الفصل الأول: في الصمت وصون اللسان

قال الله تعالى: ﴿ما يلفظُ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد﴾[1] وقال تعالى: ﴿إن ربَّك لَبالمرصادِ﴾[2] واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسُّنَّةُ الإمساك عنه، لأنه قد يجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة لا يعادلها شيء. وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». قال الشافعي رضي الله تعالى عنه في «الأم»: إذا أراد أحدكم الكلام فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شكَّ لم يتكلم حتى تظهر. وروينا في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سلم الناس من لسانه ويده». وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وَابْكِ على خطيئتك» قال الترمذي: حديث حسن. وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مِن حُسْنِ إسلام المرء تَرْكُهُ ما لا يعنيه» والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت إليه كفاية لمن وفقه الله تعالى.

أما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على شيء منها. فما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصر. وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلها. قال: وما هي؟ قال: حفظ اللسان. وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها. وقال بعضهم: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره. ومما أنشدوه في هذا الباب.

احفَظْ لسانَكَ أيها الإنسانُ ... لا يلدغنك أنه ثعبانُ

كم في المقابل من قتيلِ لسانِهِ ... كانت تهابُ لقاءَهُ الشجعانُ

---

(١) سورة: قّ، الآية: ١٨.

(٢) سورة: الفجر، الآية: ١٤.

وقال الفارسي:

لعَمْـــرُكَ إنَّ فـــي ذنبـــي لشغـــلا لنفســـي عـــن ذنـــوب بنـــي أميَّـــهْ
علـــى ربـــي حســـابهـــم إليـــه تنـــاهـــى علـــم ذلـــك لا إلـــيَّ

وقال علي رضي الله عنه: إذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي: رب منطق صدع جمعاً[1]، وسكوت شعب صدعاً. وقال وهب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس. وقال علي بن هشام رحمه الله تعالى عليه:

لَعَمْـــرُكَ إنَّ الحلـــمَ زَيْـــنٌ لأهلـــه ومـــا الحلـــمُ إلا عـــادةٌ وتحلـــمُ
إذا لـم يكـن صمـتُ الفتـى عـن نـدامةٍ وعـيٌّ فـإنَّ الصمـتَ أولـى وأسلـمُ

وقال ابن عيينة: مَنْ حرم الخير فليصمت. فإن حرمه فالموت خير له. وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه: «عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان، وعون على أمر دينك». ومن كلام الحكماء: مَنْ نطق في غير خير فقد لغاً، ومَنْ نظر في غير اعتبار فقد سها، ومَنْ سكت في غير فكر فقد لها، وقيل لو قرأت صحيفتك لأغمدت صفيحتك، ولو رأيت ما في ميزانك لختمت على لسانك. ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له: ألا تتكلم. فقال: الكلام صيَّرني في بطن الحوت. وقال حكيم: إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلم. وكان يقال: من السكوت ما هو أبلغ من الكلام، لأن السفيه إذا سكت عنه كان في اغتنام. وقيل لرجل: بم سادكم الأحنف فوالله ما كان بأكبركم سنًّا، ولا بأكثركم مالاً. فقال: بقوة سلطانه على لسانه. وقيل: الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا تكلم بها صار في وثاقها. وقيل: اجتمع أربعة ملوك فتكلموا، فقال ملك الفرس: ما ندمت على ما لم أقل مرة، وندمت على ما قلت مراراً. وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. وقال ملك الصين: ما لم أتكلم بكلمة ملكتها، فإذا تكلمت بها ملكتني. وقال ملك الهند: العجب بمن يتكلم بكلمة إن رفعت ضرت، وإن لم ترفع لم تنفع. وكان بهرام جالساً ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه. فقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر، والإنسان لو حفظ لسانه ما هلك. وقال علي رضي الله تعالى عنه: بكثرة الصمت تكون الهيبة. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه. الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع. وإن أكثرت منه قتل. وقال لقمان لولده: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك. يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن فيقلن بخير إن تركتنا. قال الشاعر:

احفَـــظْ لســـانَـــك لا تقـــول فتبتلـــى إن البـــلاءَ مـــوكـــلٌ بـــالمنطـــقِ

الفصل الثاني: في تحريم الغيبة

اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس، وهي ذكرك الإنسان بما يكره ولو بما فيه، سواء كان في دينه أو بدنه أو نفسه أو خَلقه أو خُلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته،

(١) صدع: أصابهم وفرقهم.

أو خادمه، أو عمامته أو ثوبه أو مشيته أو حركته أو بشاشته أو خلاعته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك، أو بكتابك أو رمزت إليه بعينك، أو يدك، أو رأسك، أو نحو ذلك. فأما الدين فكقولك سارق، خائن، ظالم متهاون بالصلاة متساهل في النجاسات، ليس بارّاً بوالديه، قليل الأدب، لا يضع الزكاة مواضعها، لا يجتنب الغيبة. وأما البدن فكقولك أعمى أو أعرج، أو أعمش أو قصير، أو طويل، أو أسود، أو أصفر، وأما غيرهما فكقولك فلان قليل الأدب، متهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير النوم كثير الأكل، وما أشبه ذلك، أو كقولك فلان أبوه نجار أو إسكاف، أو حداد أو حائك، تريد تنقيصه بذلك، أو فلان سيّء الخلق متكبر مراء معجب، عجول، جبار ونحو ذلك، أو فلان واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثوب، ونحو ذلك.

وقد روينا في صحيح مسلم وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره». قيل: وإن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وروينا في سنن أبي داود، والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا. قال بعض الرواة، تعني قصيرة فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لكثرة نتنها». وروينا في سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم». وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا». ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليزني فيتوب، فيتوب الله عليه؛ وإن صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها». وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: «مَنِ اغتاب المسلمين، وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم إلى السلطان جيء به يوم القيامة، مزرقة عيناه، ينادي بالويل والثبور، يعرف أهل ولا يعرفونه». وقال معاوية بن قرة: أفضل الناس عند الله أسلمهم صدراً، وأقلهم غيبة. وقال الأحنف: فيَّ خصلتان لا أغتاب جليسي إذا غاب عني، ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلونني فيه. وقيل للربيع بن خثيم: ما نراك تعيب أحداً. فقال: لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس، وأنشد:

لنفسي أبكي لستُ أبكي لغيرها ... لنفسي من نفسي عن الناسِ شاغلُ

وقال كثير عزة:

وسعى إليّ بعيبِ عزَّةَ نسوةٌ ... جعلَ الإلٰهُ خدودَهُنَّ نِعَالَهَا

وقال محمد بن حزم: أول مَنْ عمل الصابون سليمان. وأول مَنْ عمل السويق ذو القرنين. وأول مَنْ عمل الحيس يوسف. وأول مَنْ عمل خبز الجرداق نمروذ. وأول مَنْ كتب في القراطيس الحجاج. وأول مَنِ اغتاب إبليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام. وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام أن المغتاب إذا تاب فهو آخر مَنْ يدخل الجنة، وإن أصر، فهو أول مَنْ يدخل النار. ويقال: لا تأمن مَنْ كذّب لك أن يكذب عليك، ومنِ اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك. وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه: إن فلاناً اغتابك، فأهدى إليه طبقاً من رطب. فأتاه الرجل وقال له: اغتبتك فأهديت إليّ. فقال الحسن: أهديت إليّ حسناتك فأردت أن أكافئك. وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: لو كنت مغتاباً أحداً، لاغتبت والديّ، لأنهما أحق بحسناتي، إذا حاكى إنسان إنساناً بأن يمشي

متعارجاً، أو متطأطئاً[١] أو غير ذلك من الهيئات يريد تنقيصه بذلك فهو حرام. وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضاً، تفهم به كما تفهم بالتصريح، فيقال لأحدهم: كيف حال فلان؟ فيقول: الله يصلحنا. الله يغفر لنا. الله يصلحه. نسأل الله العافية. نحمد الله الذي لم يبتلينا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر. يعافينا الله من قلة الحياة. الله يتوب علينا. وما أشبه ذلك مما يفهم تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة.

واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها. فيجب على مَنْ يستمع إنساناً يبتدىء بغيبة أن ينهاه، إن لم يَخَفْ ضرراً، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، فإن قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك، قال بعض العلماء إن ذلك نفاق. قال الله تعالى: ﴿وإذا رأيتَ الذين يخوضُونَ في آياتِنَا فأعرِضْ عنهم حتى يخوضُوا في حديث غيرِه﴾[٢] ومما أنشدوه في هذا المعنى.

وسَمْعَكَ صُنْ عن سماعِ القبيحِ ... كصَوْنِ اللسانِ عن النُّطْقِ بِهْ
فإنَّكَ عند سماعِ القبيحِ ... شريكٌ لقائِلِهِ فانتبِهْ
وكم أزعَجَ الحرصُ من طالبٍ ... فوافى المنيَّةَ في مطلبِهْ

الفصل الثالث: في تحريم السعاية بالنميمة

قال الله تعالى: ﴿ولا تُطِعْ كلَّ حلاَّفٍ مهينٍ * همَّازٍ مشَّاءٍ بنميمٍ﴾[٣] الآية وحسبك بالنمام خسة ورذيلة، سقوطه وضعته، والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس، الطاعن فيهم. وقال الحسن البصري: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، وهو الهمزة اللمزة. وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما: العتل الفاحش السيِّىء الخلق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العتل الفاتك الشديد المنافق. وقال عبيد بن عمير: العتل الأكول الشروب القوي الشديد، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة. وقال الكلبي: هو الشديد في كفره، وقيل: العتل الشديد الخصومة بالباطل، والزنيم هو الذي لا يعرف مَنْ أبوه قال الشاعر:

زنيمٌ ليس يعرف من أبوه ... بغيُّ الأم ذو حسبٍ لئيمِ

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن حديفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمَّام»، وروي أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخرة فكان لا يستنزه من بوله». قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه: النميمة إنما تطلق في الغالب على مَنْ ينم قول الغير إلى المقول فيه، كقوله فلان يقول فيك كذا، فينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته، فائدة لمسلم، أو دفع معصية، وينبغي لمن حملت إليه النميمة وقيل له قال فيك فلان كذا، أن لا يصدق مَنْ نَمَّ إليه، لأن النمام فاسق وهو مردود الخبر، وأن ينهاه عن ذلك وينصحه، ويقبح فعله، ويبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله، والبغض في الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عن السوء لقول الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً

(١) متطأطئاً: مخفِّضاً رأسه.
(٢) سورة: الأنعام، الآية: ٦٨.
(٣) سورة: القلم، الآيتان: ١٠ ـ ١١.

من الظَّنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ﴾[١]. وسعى رجل إلى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له: انصرِفْ حتى اكتشف عنك. فكشف عنه فإذا هو ابن بغي، يعني ولد زنا. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لا ينم على الناس إلا ولد بغي، وروي أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ. قال: «شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون العيوب». وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ملعون ذو الوجهين. ملعون ذو اللسانين، ملعون كل شغاز، ملعون كل قتات، ملعون كل نمام، ملعون كل منان». والشغاز المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة، والقتات النمام، والمنان الذي يعمل الخير ويمن به، وأما السعاية إلى السلطان وإلى كل ذي قدرة فهي المهكلة، والحالقة[٢] لأنها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة، وشؤوم النميمة، والتغرير بالنفوس، والأموال في النوازل، والأحوال، وتسلب العزيز عزه، وتحط المكين عن مكانته، والسيد عن مرتبته، فكم دم أراقه سعي ساعٍ، وكم حريم استبيح بنميمة نمام. وكم من صَفِيَّيْنَ[٣] تباعدا، وكم من متواصلَيْن تقاطعا، وكم من محبَّيْن افترقا، وكم من إلفين تهاجرا، وكم من زوجين تطالقا. فليتقِ الله ربه عز وجل رجلٌ ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار، أن يصغي لساعٍ أو يستمع لنمام.

ووُجد في حكم القدماء: أبغض الناس إلى الله المثلث. قال الأصمعي: هو الرجل يسعى بأخيه إلى الإمام فيهلك نفسه، وأخاه، وإمامه، وقال بعض الحكماء: احذورا أعداء العقول، ولصوص المودَّات، وهم السعاة والنمَّامون، إذا سرق اللصوص المتاع، سرقوا المودات. وفي المثل السائر: مَنْ أطاع الواشي ضيَّع الصديق. وقد تقطع الشجر فتنبت، ويقطع اللحم السيف فيندمل، واللسان لا يندمل جرحه. ودفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم، وكان مالاً كثيراً فكتب إليه على ظهرها: النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. وروينا في كتاب أبي داود والترمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس مَنْ يتلوَّن ألواناً، ويكون بوجهين ولسانين فيأتي هؤلاء بوجه، وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً». قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى:

قُـلْ للـذي لستُ أدري مَـنْ تَلَـوُّنِـهِ ... أنـاصـحٌ أم علـى غِـشٍّ يُنَـاجينـي
إنـي لأكثـر ممـا سمتنـي عجبـاً ... يـدٌ تشـجُّ وأخـرى منـك تـأسـونـي[٤]
تغـتـابـنـي عـنـد أقـوامٍ وتمـدحُـني ... فـي آخـريـن وكـلٌّ عنـك يـأتينـي
هـذان شيئـان قـد نـافَيْـتَ بينهمـا ... فـاكفُـفْ لسـانَـك عـن شتمـي وتـزيينـي

وقيل: لألف لحوح جموع، خير من واحد متلون، وكان يشبه المتلون بأبي براقش، وأبي قلمون. فأبو براقش طائر منقط بألوان النقوش يتلون في اليوم ألواناً، وأبو قلمون ضرب من ثياب الحرير ينسج بالروم يتلون ألواناً. ويقال للطائش الذي لا ثبات معه أبو رياح تشبيهاً بمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب

(١) سورة: الحجرات، الآية: ١٢.
(٢) الحالقة: قاطعة الرحم.
(٣) صَفِيَّيْنَ: خليلين.
(٤) تأسو: تداوي.

الجامع يدور مع الريح، ويمناه ممدودة وأصابعها مضمومة إلا السبابة فإذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه به. فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه، والذي يعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضاً. ويقال: أخلاق الملوك مَثَلٌ في التلوُّن قال بعضهم:

ويومٌ كأخلاق الملوكِ تلوُّناً ... فصَحْوٌ وتَغْييمٌ وطَلٌّ[١] ووابلُ[٢]
أشبهه إياك يا مَنْ صفاتُهُ ... دنوٌّ، وإعراضٌ، ومَنْعٌ، ونائلُ[٣]

وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف. فقال له معاوية: بلغني عنك الثقة. فقال له الأحنف: إن الثقة لا يبلغ مكروهاً. وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية[٤] وإذا أتاه ساع يقول له: إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذبتنا عاقبناك، وإن استقلتنا[٥] أقلناك. وكتب في جواب كتاب ساعٍ: نحن نرى أن قبول السعاية شرٌّ من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس مَنْ دل على شيء، وأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعايته صادقاً، لكان من صدقه لئيماً، إذ لم يحفظ الحرمة، ولم يستر العورة. وقيل: مَنْ سعى بالنميمة حذره الغريب، ومقته القريب. وقال المأمون: النميمة لا تقرب مودَّة إلا أفسدتها، ولا عداوة إلا جدَّدتها، ولا جماعة إلا بدَّدتها. ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه. وأنشد بعضهم:

مَنْ نَمَّ في الناسِ لم تُؤمَنْ عقاربُهُ ... على الصديقِ ولم تُؤمَنْ أفاعيهِ
كالسيلِ بالليلِ لا يدري به أحَدٌ ... من أين جاءَ ولا من أين يأتيهِ
الويلُ للعهدِ منه كيفَ ينقضُهُ ... والويلُ للودِّ منه كيفَ يفنيهِ

وقال آخر:

يسعى عليكَ كما يسعى إليك فلا ... تَأمَنْ غوائلَ ذي وجهين كيادِ

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى:

من يخبِّرْكَ بشتمٍ عن أخٍ ... فهو الشاتمُ لا مَنْ شتمَكْ
ذاك شيءٌ لم يواجِهْكَ بِهِ ... إنما اللومُ على مَنْ أعلمَكْ

وقال آخر:

إن يعلموا الخيرَ أخفَوْهُ وإن علموا ... شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

وقال آخر:

إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعُوا من صالحٍ دفنوا

---

(١) الطل: خفيف الغيث.
(٢) الوابل: شديد المطر.
(٣) النائل: العطاء.
(٤) السعاية: الوشاية السيئة.
(٥) استقلتنا: طلبت الإقالة من المنصب.

صُـــمٌّ إذا سمعـــوا خيـــراً ذكـــرتَ بـــه وإن ذكـــرتَ بســـوء عنـــدهـــم أذنـــوا

وقال الحسن: ستر ما عاينت، أحسن من إشاعة ما ظننت. وقال عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: مَنْ سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها.

ومما جاء في النهي عن اللعن: ما رويناه في صحيح البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله». وروينا في صحيح مسلم أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة»، وروينا في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء، فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن، إن كان أهلاً لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها» ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة على العموم كقوله: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين ونحو ذلك.

وثبت في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة، والمستوصلة[1] وإنه قال: «لعن الله آكل الربا. وأنه قال: لعن الله المصورين. وأنه قال: لعن الله من لعن والديه، وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله. وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى، واتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وأنه قال: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». وجميع هذه الألفاظ في البخاري ومسلم بعضها فيهما وبعضها في أحدهما والله أعلم.

ومما جاء في العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة: قال رسول الله ﷺ: «الخمول نعمة وكلٌّ يتبرأ، والظهور نقمة وكلٌّ يتمنى». وقال بعضهم:

تلحَّـــفْ بـــالخمـــول تَعِـــشْ سليمـــاً وجـــالِـــسْ كـــلَّ ذي أدبٍ كـــريـــمِ

وقال جعفر بن الفراء:

مـــن أخملَ النفسَ أحيـــاهـــا وروَّحهـــا ولـــم يَبِـــتْ طـــاويـــاً منهـــا علـــى ضجرِ
إن الـــريـــاح إذا اشتـــدَّت عـــواصفُهـــا فليس ترمي سوى العالي من الشجر

وقال أعرابي: رب وحدة أنفع من جليس، ووحشة أنفع من أنيس. وكان أبو معاوية الضرير يقول: فيّ خصلتان ما يسرني بهما رد بصري: قلة الأعجاب بنفسي، وخلو قلبي من اجتماع الناس إليّ. وقال عمر رضي الله عنه: خذوا حظكم من العزلة. وصعد حسان على أطم[2] من آطام المدينة ونادى بأعلى صوته: يا صباحاه، فاجتمعت الخزرج فقالوا: ما عندك؟ قال: قلت بيت شعر فأحببت أن تسمعوه. قالوا: هات يا حسان. فقال:

وإنَّ أمـــرأً أمسَـــى وأصبـــحَ ســـالمـــاً مـــن النـــاسِ إلا مـــا جنـــى لسَعِيـــدُ

ولما بنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له: تركت منازل إخوانك. وأسواق الناس ونزلت

(١) المتسوصلة: التي تطلب وصل شعرها.
(٢) الأطم: البيت المربع أو القصر المرتفع.

بالعقيق. فقال: رأيت أسواقهم لاغية، ومجالسهم لاهية، فوجدت الاعتزال فيما هنالك عافية. وقيل لعروة، أخي مرداس: لم لا تحدثنا ببعض ما عندك من العلم؟ فقال: أكره أن يميل قلبي باجتماعكم إلى حب الرياسة، فأخسر الدارين. وقال سفيان بن عيينة: دخلنا على الفضل في مرضه نعوده: فقال: ما جاء بكم؟ والله لو لم تجيئوا لكان أحب إليّ. ثم قال: نعم الشيء المرض، لولا العيادة. وقيل للفضل: إن ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه، ولا يروني. فقال ويح ابني لم لا أتمها فقال: لا أراهم ولا يروني. وقال علي رضي الله تعالى عنه، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته واشتغل بطاعته، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة. وقال سفيان: الزهد في الدنيا، هو الزهد في الناس. وقيل لراهب في صومعته: ألا تنزل؟ فقال: مَنْ مشى على وجه الأرض عثر.

والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم.

obeikandl.com